الصليب . المترنحة بمرأى الدم . المبتهجة بمنظر الألم . التافلة على الوجه المتكمش بأوجاعها وأحزانها . الهازئة باليدين اللتين فتّحتا عيون عميانها . الصارخة شماتة وسخرية في الأذنين الممتلئتين بأنّاتها . الساكبة مرارة في القلب المفعم محبة لضعفها وحناناً على شقائها — أنظر إلى هذه الجماهير فتتجلى لي فيها الإنسانية بأسرها — غابرها وحاضرها وآتيها : أسياد يخافون على قيود عبيدهم من أن تنفك فيشدونها بكلّ ما لهم من القوة . وعبيد يعضّون اليد التي تحاول فكّ قيودهم ، لأن أسيادهم أوهموهم أنّه يوم تنحلّ قيودهم تنحلّ المسكونة .

ثم أنظر إلى وجه المسمَّر على خشبتين معترضتين ، فأرى الدم لا يزال يقطر وقد تجمد بعضه فوق حاجبيه ، وعلى وجنتيه ولحيته وشاربيه . وبعضه امتدّ في شكل رسوم سحريّة سريّة على أسفل الخشبة . وبعضه تجمّع على الأرض بركاً حمراء . وأرى ملامح وجهه المشوّهة بالدم والألم تتبسط قليلاً قليلاً ، وعينيه المطبقتين تنفتحان بهدوء وترتفعان إلى فوق ، وشفتيه المتيبستين ، المتباعدتين تتقاربان فتتلامسان . وأسمع صوته المتهدّج يقول :

« أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون . »

وكيف لمن جعلت التقاليد البشرية قلوبهم من صوان ، وعيونهم من زجاج ؛ كيف لمن استعبدوا الناس لشهواتهم ،